التحليل النفسي لشخصية عنترة في رحاب أشعاره
وفقاً لنظرية سيجموند فرويد وألفرد أدلر

أ.م دة آفرين زارع
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة شيراز

فاطمة كوثري
حاصلة على الماجستير في اللغة العربية وآدابها
جامعة بيام نور/ فرع بوشهر

البريد الإلكتروني Email : dr.afarin.zare@hotmail.com

الكلمات المفتاحية: شخصية عنترة وأشعاره، النقد النفسي، النظرية السيكولوجية لفرويد وأدلر.

كيفية اقتباس البحث
زارع، آفرين ، فاطمة كوثري ، التحليل النفسي لشخصية عنترة في رحاب أشعاره وفقاً لنظرية سيجموند فرويد وألفرد أدلر، مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية،٢٠١٨، المجلد:٨، العدد:٤ .

هذا البحث من نوع الوصول المفتوح مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي لحقوق التأليف والنشر (Creative Commons Attribution) تتيح فقط للآخرين تحميل البحث ومشاركته مع الآخرين بشرط نَسب العمل الأصلي للمؤلف، ودون القيام بأي تعديل أو استخدامه لأغراض تجارية.

مفهرسة في Indexed DOAJ
مفهرسة في Indexed IASJ
مسجلة في Registered ROAD

Psychological criticism of Antara personality throughout his poems based on Freud and Adler theories

Associate Prof. Dr. Afarin Zare
Faculty of Literature and Humanities
Shiraz University

Fatemah Kouthari
M.A in Arabic Language and Literature
Payame Noor University/ Booshehr

Keywords: psychological criticism, Antara personality and poem, Sigmund Freud and Alfred Adler theory

How To Cite This Article
Zare, Afarin, Fatemah Kouthari, Psychological criticism of Antara personality throughout his poems based on Freud and Adler theories, Journal Of Babylon Center For Humanities Studies, Year :2018,Volume:8,Issue: 4.

This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International License.

Research Summary in English
Psychological criticism is a new branch in literature and enjoys various practical aspects. In addition, the science seems really prominent due to the the ties between it and all aspects of life. Such kind of criticism is a tool applied by critics for recognition and study the mysteries of literary works based on psychology science. It discusses and reviews an expand field of human characteristics including act, speech, behaviour, reactions, memories and motivations. The present paper tries to study the personality of Antara _the famous pre-Islamic era poet_ based on psychologists' theories like Freud (entity, ego, superego, defense mechanism like exaltation and rationalization) and Adler (social interest, the way of life, humiliation and self-creative).

In studying psychological structure of the above mentioned outstanding poet, by means of a literal - psychological way it is concluded that his love for Abla and his slavery are his tensions lead him to feel humiliated and anxious within himself. So Antara's rational self, by the aids of exaltation and rationalization suggest him positive behaviors as chastity, athletic, and being a poet for demands of the society. On the other hand superego tries to help him achieve his sublime goals means superiority, integrity and transcendental life. Finally the poet has the character type like perfect, experienced, independent and utile-for-the-society people and factors such as instincts and normal and balanced community and environment altogether shape his behavior.

الملخص

النقد النفسي في الأدب ناشئ وله عديدٌ من الجوانب العملية، وله أهمية كبيرة وشاملة لكونه مرتبطا بجميع مجالات الحياة. فهو تلك الآليات والأدوات التنفيذية التي يعتمد عليها الناقد في فهم أسرار العمل الأدبي ودراسته، مرتكزا على نظريات علم النفس، ومعالجا مدى واسعا من السلوك البشري أي ما يصدر منه من الأفعال أو الأقوال أو التصرفات أو الانفعالات أو الذكريات أو الدوافع.

يحاول هذا المقال أن يقوم بتحليل نفسي لشخصية عنترة، الشاعر الجاهلي الذائع الصيت على أساس قصائده على وفق عينات في نظرية *فرويد* (الهو، والأنا، والأنا الأعلى والحيل الدفاعية وأدلر (الاهتمام الاجتماعي، ونمط الحياة، والشعور بالدونية والأنا الخلاق).

عند معالجة البنية النفسية لهذا الشاعر بمنهج نفسي نخلص أن التوترات التي أدت إلى الشعور بالدونية وإثارة القلق في الهو عنده حبه عبلة وما يمت بصلة تقدمه. فيقترح أناه المنطقي التصرفات الإيجابية مثل العفة، والبطولية، والشاعرية بمساعدة آليات الدفاع كالتصعيد والعقلنة حيال تطلبات الهو والبيئة، وأناه الأعلى الأخلاقي يسعى إلى أن يوصله إلى هدفه السامي أي التفوق والكمال والحياة المتعالية؛ فيعد شخصية ناضجة، وكاملة، ومستقلة تنفع المجتمع. ويشكّل سلوكه المعتدل والطبيعي عوامل شتى مثل الغرائز، والدوافع الفطرية، والبيئة، والمجتمع معاً.

١. المقدمة

١. ١. تعريف الموضوع

يبين الناقد في النقد النفسي ملامح الشاعر أو الكاتب الداخلية دارسا مدى انعكاس الأحاسيس والمشاعر والخيالات، والبيئة، والمجتمع، والتقاليد والتراث في سلوكه مستعينا بما جاء

في علم النفس. وعلم النفس أكثر قدما بالنسبة إلى جميع النظُم العلمية المتاحة؛ إذ يمكن تتبّع جذوره في القرنين الرابع والخامس قبل الميلاد ومع علماء مثل سقراط، أفلاطون وأرسطو[١].

قد تمّ إرساء أسس النقد النفسي في القرن العشرين، وأوّل نظرية نفسية شاملة يتعلّق بزعيمه ومؤسسه الطبيب النفسي النمساوي سيجموند فرويد.

يعد فرويد أول من كرس جهدا لإنجاز جزء مهمّ من أبحاثه في العلاقة بين علم النفس والأدب والفن. في رأيه الغريزة الجنسية الدافع الأوّل والأهمّ للميل إلى الأدب والفن. وفقاً لهذا قام في القرن العشرين بمعالجة شخصيتين: «ليوناردودافينشي» و«فيودوردوستويفسكي» وأعمالهما الفنّية، فذهب إلى أن اندلاع الأعمال الأدبية والفنّية يتمَ في «العقل الباطن»، فاستطاع عن طريق اكتشاف «العقل الباطن» أن يحقق تطّوراً كبيراً في مجال النقد؛ إذ دراسات النقد الأدبي والفنّيّ قبله كان على أساس «العقل الواعي»[٢].

يرى فرويد النفس أو شخصية الإنسان عظيمة جدا عظم شريحة الجليد للقطب؛ فلا يظهر سوى جزء بسيط منها؛ هذا الجزء يشمل مستوى العقل الواعي، والقسم الكبير منها يقع تحت المياه ويشمل «العقل الباطن». «العقل الباطن» هو عالم واسع من الرغبات والعقائد والنزعات المكبوتة التي لايعرفها الإنسان.في الحقيقة المحدّدات الرئيسة للسلوك البشري، هذه القوى «اللاواعية» عنده التي تتكون من ديناميات الشخصية «الهو»، و«الأنا»، و«الأنا الأعلى»[٣].

من الذين أصروا على رفض نظرية فرويد وخالفوه، ألفريد أدلر طبيب النفس النمساوي ومواطن فرويد، الذي ينبغي اعتباره حقاً أبا للحركة الجديدة في علم النفس الاجتماعي والتحليل النفسي.

تدلّ نظريته على أنّ إثارة الإنسان تتمّ في الحقيقة عبر العوامل الاجتماعية وليس عن طريق العوامل البيولوجية. في رأيه ليس الإنسان ماكنة أو ساعة مضبوطة وليس بدمى في يد حوافزه «اللاواعية بل هو موجود يتمتّع إلى حدّ ما بالحرية والخيار وبإمكانه أن يمنح حياته معنى ساميا. قام أدلر بتعريف عينات «الدونية»، و«شعور التفوق» كالأساس في تحليل الشخصية، وفي رأيه أنّ الحافز الرئيس عند الشخصية هو السعي للتفوّق والكمال[٤].

تعدّ «الشخصية» من الجوانب الرئيسة والمهمة في علم النفس ومجالها واسع جدّاً لأنّها موضوع غامض ولها جوانب مختلفة.

قد قدم الخبراء في مجال الشخصية وعلم النفس تعاريف مختلفة للشخصية. يمكن تقديم تعريفٍ شامل بين تلك التعاريف: الشخصية هي «مجموعةٌ منظمة يتمّ تشكيلها من الخصائص

المستقرّة إلى حدّ ما فهي معاً تؤدّي إلى تمييز شخصٍ من شخص آخر أو أشخاص آخرين». هذه السمات تشتمل على الأفكار والأحاسيس والإدراك الذاتي والعقلية والعادات[٥].

خلفية البحث

للعلاقة بين الأدب وعلم النفس أهميّة بالغة ولها أسبقية طويلة في التاريخ؛ حتّى أنّ نقد أثر أدبي من وجهة نظر علم النفس عبر شخصية مؤلف الأثر، يعدّ من أبرز الطرق النقدية. إذن يمكن القول إن الاتجاهات المختلفة للنقد الأدبي تقع في ظل منهج التحليل النفسي؛ لأنها على سبيل المثال تارةً تعالج حياة خالق الأثر وشخصيته وتارةً تعنى بدراسة الأثر نفسه وتارة أخرى تدرس تأثيرات الأثر على القارئ.

والبحث في آثار النقاد العرب القدامى يثبت عنايتهم بالنقد النفسي في الآثار الأدبية وخالقيها. فابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) في كتابه *الشعر والشعراء*، والقاضي الجرجاني (ت٣٩٣هـ) في كتابه *الوساطة*، وعبدالقاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) في الكتابين *دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة* يعرضون اتجاههم النفسي في تفسير العمل الأدبي نفسه أو معالجة عملية الإبداع الفني ذاتها.

كذلك مجرى حركة مدرسة النقد النفسي في العصر الحديث كان على يد جماعة الديوان سنة ١٩٢١م. وكانت السمة الغالبة على هذه النزعة في العقود الأولى من هذا القرن الدراسة والتحليل النفسي لشخصية الشاعر أو الأديب[٦].

وتطور هذا المنهج النقدي في العصر الحديث تطورا ملحوظا حيث عالج طه حسين (١٩١٥م) في كتابه "*مع أبي العلاء في سجنه*" الدواعي النفسية لتشدد أبي العلاء وعنفه في حياته. وكذلك عباس العقاد (١٩٣١م) في كتابه *ابن الرومي حياته من شعره*" يصور أخلاقه وإفراطه في تطلباته المادية والروحية وأثرها في أخلاقه وشخصيته التي تحتوي على الجوانب النفسية ورغباته الخفية والجلية أو الباطنية. وإبراهيم المازني (١٩٤٤م) في كتابه "*بشار بن برد*" من قراءة أعماله الشعرية حصل على أنه من دلائل إنشاد الأشعار الهجوية عند بشار عماه وعجزه في حياته ويعتقد أنه لاحيلة له إلا الهجو والسبّ والكلام البذيء لتغطية حرمانه وعاهته[٧]. وقد نضجت هذه البذور النفسية في نقد جماعة الديوان ومن تبعها من الأدباء والنقاد والأساتذة الآكاديميين. ويعد عبدالرحمن شكري (١٨٦٦– ١٩٥٨)، خاصة أول من استفاد من معطيات علم النفس في دراسة الشعر. وتناول محمد النويهي الشاعرين العقاد وابن الرومي بالدراسة النفسية.

أسئلة البحث

هذا المقال يسعى إلى الإجابة عن الأسئلة التالية:

١.ما التوترات التي تتأثّر بالغرائز والمجتمع في باطن عنترة؟

٢.هل هناك أيّ تضارب وتصارع في مستويات الشخصية لعنترة (الهو، والأنا، والأنا الأعلى)؟

٣.ما نوع موقف «الأنا» و«الأنا الأعلى» عند عنترة إزاء متطلبات «الهو»؟

٤.كيف ومع أيّ ميكانيزمات الدفاع أو الحيل الدفاعية تمّ تحويل عينة «الدونية» في وجود عنترة إلى عينة «شعور التفوّق» و«الأنا الخلاق أو المثالي»؟

٥.هل كان تشكيل «نمط الحياة أو أسلوب الحياة» وتحقيق «الأنا المثالي»، حدثا واعيا أم غير واع؟

الدراسات السابقة

تمّ تأليف العديد من الدراسات بشأن حياة عنترة وشعره فكلّ منها قد اختصّ بجوانب خاصة مثل الدراسات التي تمثّل المظاهر الملحمية وبطولياته ورجولته في شعره؛ تعكس دراسات أخرى عفة عنترة في شعره؛ ومن الدراسات التي تقوم بتحليل شخصية عنترة من وجهة النظر النفسية يمكن الإشارة إلى خزلي و گودرزي لمراسكى (١٣٩٣ ش) اللذين حاولا دراسة تأثير العوامل الاجتماعية على شخصية هذا الشاعر وأدبه على وفق العينات في نظرية «يونغ».

لكن قلما نجد بحثا درس نظرية فرويد التي خاضت في الأغلب في الغريزة الجنسية من النوع الأول وتأثيرها في شخصية الإنسان، أما في مجال الأدب وعلم النفس فقد عالج قليل من الباحثين الجانب النفسي – الفسيولوجي الذي يشمل أنواع الغرائز في الإنسان وتأثيرها في الشخصية علاوةً على الغريزة الجنسية من النوع الأول.

تعالج هذه الدراسة نظريتين من النظريات المختلفة تماماً؛ ففي وجهة نظر فرويد، حكّام الشخصية وما يشكّلها هي القوى اللاواعية والدوافع الجنسية القائمة على العوامل البيولوجية. لكنّها في رأي أدلر،القوى الواعية، لذا كان هو يعنى بالتفاعلات الاجتماعية عناية كبيرة بوصفها عاملا محدّدا للشخصيّة.

يسعى البحث إلى أن يبين شخصية عنترة في ظلّ حياته الأدبية وبيئته الخارجية مصحوبا بتحليل جديد مزيج من كلتا النظريتين في إطار المنهج النفسي.

٢.التحليل النفسي لشخصية عنترة على وفق حياته الأدبية

١. ٢. حياة عنترة

ولد عنترة بن شداد العبسي المعروف بأبي المغلس حوالي سنة ٥٢٥م. ويعدّ من أعظم الشعراء العرب قبل الإسلام ومن أشهر أبطالهم. سمي عنترة بسبب كفاءته وشجاعته في معارك العرب المتعددة ولاسيما معركة داحس والغبراء بين قبيلتي عبس وذبيان ومعركة البسوس؛ فصار شهيراً بسبب هذه الشجاعة والبطولية وحصل على وسام الشجاعة لأساطير التاريخ[٨].

كان عنترة زنجياً من أمّ جارية حبشية، وترعرع في أجواء المعارك والبطولات فوقع في حبّ ابنة عمّه عبلة محاولا أن ينال رضاها عن طريق خوض سلسلة من المهام الخطرة والصبر على المصائب وإبراز الأخلاق الحميدة، ولكنه فشل في حبّه[٩].

إعجاب العرب الجاهليين ببعض السمات الحميدة مثل الشجاعة والتضحية أدّى إلى خلق سلسلة من القصص الملحمية حول حياته، ما يسمّى بـ «سيرة عنترة»[١٠].

٢-٢ رغبات وتوترات «الهو» عند عنترة

تعريف «الهو»

"«الهو» تسمية تطلق على الجانب اللاشعوري من النفس باعتباره مصدر الطاقة الغريزية أو البهيمية... كان غرودك (Groddeck) أول عالم للتحليل النفسي يستعمل المصطلح للدلالة على أي أمر غير شخصي في الطبيعة الإنسانية"[١١].

"«الهو» مستودع الغرائز ومخزنها يعمل في تلبية حاجات الجسم. يعمل «الهو» وفق مبدأ اللذة العاجلة بأية وسيلة دون اعتبار لواقع أو تفكير في العواقب. ويكون مكان تواجد الرغبات والغرائز الطبيعية والدوافع اللاشعورية والذاتية للإنسان. وهو لا يقيم وزنا للمنطق والتفكير العقلاني والظروف الواقعية، بل يتسم بمنطق أناني فج بدائي لا يعترف بواقع أو عقلانية"[١٢].

من الغرائز الإنسانية المتعددة كان يهتمّ فرويد اهتماماً خاصاً بهاتين الغريزتين: غريزة الحب أو الحياة التي تشمل النوع الأول وهو الشهوة الجنسية، والنوع الثاني أي الحبّ، والرغبة، والمودة، والشفقة، والهواء والطعام؛ وغريزة الموت (التاناتوس) التي تعدّ بنية تحتية لجميع الخصائص العنيفة والقاسية والمدمرة التي تتضمّن القتل والانتحار[١٣].

الغريزة

"«الغريزة» دافع فطري موروث في الكائن الحي إنسانا كان أم حيوانا. وتختلف في عددها وأشكالها من كائن حي إلى آخر، كغريزة البحث عن الطعام (الجوع)، وغريزة الأمومة،

وغريزة الخوف، وغريزة بناء العش، والغريزة الجنسية...ولكل غريزة أساس فسيولوجي وأساس نفسي معا"[١٤].

الغريزة الجنسية في نظرية فرويد لا تنحصر على الشهوة بل تدخل أكثر السلوكيات والأفكار الرائعة والمستمتعة في إطار الرغبة الجنسية. فإحدى الحالات الواسعة للغريزة الجنسية التي تقصد الحصول على اللذة إضافة إلى الولادة وتشمل كلّ الدافعيات الخاصّة بالرغبة والمودة والشفقة، يطلق عليها الحبّ[١٥].

ويعتقد أن دافع الحب والشفقة يكون مثل دافع الجوع والعطش، فحين الشعور بالحاجة إليه في الجسم، يتمّ إنشاء الطاقة في الذهن، والذهن يبدّل هذه الطاقة الجسدية إلى الرغبة ويؤدّي إلى السلوك التحفيزي عند الشخص. إذن «غريزة الحبّ» لها جانب خاص بالحوافز الجسدية الناجمة عن فقدان حاجةٍ في الجسم. هذه الحاجة تعمل كحافز للسلوك وتدفع الشخص نحو طلبه. على وفق هذا يمكن القول إنّ الغرائز هي التي تؤثر في جميع سلوكيات الإنسان.

يعتقد فرويد أنه يتمّ تنظيم الدافع عن طريق القوى الفسيولوجية. فجسم الإنسان نظام غامض قد نظّم لزيادة الطاقة وخفضها في السلوك. والغريزة قوّة بيولوجية الأساس فينبعث من الباطن ويتسرّب في الذهن ويربط حاجات الجسم إلى رغبات الذهن[١٦].

في رأي فرويد العوامل اللاواعية مثل الرغبات والدوافع والعقائد المكبوتة المحدّد الرئيس لسلوك الإنسان، وعندما لا يتم تلبيتها في الوقت المناسب ولايُنال رضى الهو، يتعرّض الشخص للعدوان، والخيبة والكآبة وهذا يؤدّي إلى عزلته الاجتماعية، فالعامل الرئيس لهذه العزلة «القلق والاضطراب»، وإذا تعرّض الشخص لخطر الهزيمة، أصابته حالة من الإفلاس مثل كمواجهته لها في الطفولة.

القلق والاضطراب

القلق ينشأ حين يكون «الأنا» تحت الضغط. فالقلق الحقيقي هو الخوف من مخاطر الحياة. القلق كعلامة التحذير يخدم الشخص ويعلن أنّ الموقف داخل الشخصية ليس كما ينبغي أن يكون.

والقلق يثير التوتر في الذهن؛ إذن هو يشبه دافع العطش والجوع فيتحوّل إلى دافع يشجّع الشخص على إزالته؛ بعبارة أخرى يعلن القلق أنّه تمّ تهديد «الأنا» وإن لم يقم الشخص بما يقتضيه الموقف، يسقط «الأنا»[١٧].

فمن دوافع «الهو» التي تؤدّي إلى إثارة الشخص حتّى يكافح «القلق والاضطراب»، هي الحبّ والشفقة إلى الجنس الآخر.

بإمعان النظر في حياة عنترة الأدبية نجد أنّ واحدا من التوترات التي نشأت في «الهو» عند عنترة هو شغفه الشديد بابنة عمّه عبلة. حبّ عبلة عند عنترة كان حبّاً عذرياً وصافياً. فهو منذ طفولته صار مغرماً بعبلة واهتمّ بها اهتماماً كبيراً حتّى أنه قال في بيت:

أيا ابْنَةَ مَالِكِ كَيْفَ التَّسَلِّي وَعَهْدُ هَوَاكِ مِنْ عَهْدِالفِطَامِ

(ديوان عنتره، ١٩٨٣: ٧٣)

هذا الطلب من جانب «الهو» يحرض عنترة ويثير التوتر والقلق والاضطراب فيه إلى درجة تقوده نحو القتل وإراقة الدماء وقتال قوم عبلة حتى يحقق غايته؛ هذا الإصرار وهذا السلوك غير العقلاني ناجم عن «الهو» العاصي:

عُلِّقْتُهَا عَرَضاً وَأَقْتُلُ قَومَهَا زَعْماً لَعَمْرُ أَبيكَ لَيْسَ بِمَزْعَمِ

(الديوان: ٨٠)

من العوامل الخاصّة التي أوقعت عنترة في هذا الحبّ كونه هجيناً وإسود اللون، فمن خلال قراءة أشعاره نفهم أنّ السبب الرئيس لحبّه عبلة قبح منظره وضراعة نسبه. علاوة على هذا أنّ الفقر،والحرمان والرقّ أدّت إلى أن يبدو عنترة مغرماً وعاطفياً على خلاف الحقيقة. إذن نلاحظ العلاقة العلّيّة والمعلولية بين حبّه ووجهه الأسود ونسبه الوضيع.

فإنّه في طفولته كان يشاهد راحة عبلة وحياتها المترفة وجمالها واهتمام الآخرين بها من جهة ومن جهة أخرى كان يتحمّل الظلم والضيم والسخرية والإزدراء من أسرته والقبيلة تجاهه مما أرغمه على حبها. تعد هذه الظروف البيئية والاجتماعية والعائلية بصورة لاواعية الدافع الرئيس للرغبة العاطفية ل«الهو» عند عنترة في حب عبلة.

يرسم عنترة في معلقته راحة علبة وجمالها وفقره:

وَكأَنَّمَا نَظَرَتْ بِعَيْنِي شَادنٍ رَشَإٍ مِنَ الغِزْلانِ، لَيْسَ بِتَوأَمِ
تُمْسي وَتُصْبِحُ فَوقَ ظَهْرِ حَشِيَّةٍ وَأَبِيتُ فَوقَ سَراةِ أدهَمَ مُلْجَمِ
وَحشِيَّتي سَرْجٌ عَلَى عَبْلِ الشَّوَى نَهْدٍ مَرَاكِلُهُ، نَبيلِ المحْزِمِ

(السابق: ٨٠)

«الهو» عند عنترة يريد أن يفوز بحبّ عبلة دون أيّة صعوبة، ويشعربااللذة دون لأي وتعب، ومع الأنانية والإصرار تكون ميزة «الهو» .

كذلك «الهو» عنده يؤدّي إلى أن ينزعج كثيراً ويواجة المزيد من المشاكل للوصول إلى حبيبته؛ لكن عبلة بجمالها الفتان ونسبها النبيل لا تهتمّ بطلب عنترة ولا تقبل حبّه؛ هذا من جانب ومن جانب آخر قبيلة عنترة تلومه وتزدريه على ذلك الحب.

في رأي *فرويد* تؤثّر الغرائز الجنسية والعدوانية اللاواعية في الأوضاع المختلفة على سلوك الإنسان. ويعد *فرويد* «الهو» وعاء غاليا تشمل محتوياته النزوات والرغبات الابتدائية والقوية التي تحب أن تبرز في الحقيقة الخارجية دوماً. إذن نظرية *فرويد* ترسم لوحة مزعجة وشجية تخالف وجهة نظر *أدلر*. هذه اللوحة ترسم عنترة شخصية متمردة ووحشية لكن على الرغم من أنّ أدلر يذهب إلى كون بعض العوامل فطرية لكنه في الوقت نفسه يعتقد أنّ الإنسان لا ينطلق عن طريق القوى اللاواعية وليس تحت إشراف القوى الغريزية وليس ضحية أحداث الطفولة وتجاربها. فهنا يبدأ دور «الأنا» ممثّل العقل والمنطق ويدخل حياض الدفاع.

الأنا

"الطفل عند ولادته وقبل احتكاكه بالبيئة الخارجية يكون مجرد «الهو» فقط. وبعد ولادة الطفل يبدأ احتكاكه بالواقع ويشرع في تمثل مبادئه والانصياع لقيوده حتى يتعايش معه فلا يسحقه الواقع أو يغيره إن هو تجاهله. ومن هنا يتعدل جزء من الهو مكونا الأنا الذي يبدأ في النمو مع نمو خبراته وازدياد احتكاكه بالواقع. ويعمل الأنا على وفق مبدأ الواقع (أي الامتثال للظروف والقيود التي يفرضها عليه العالم الخارجي). وتكون مهمته الأساسة هي المحافظة على الشخصية والذود عنها عندما تعترض للخطر، وإشباع متطلباتها بشكل لا يتعارض مع الواقع وظروفه. ولهذا فإن بعض نشاط الأنا يكون على المستوى الشعوري (الواعي) (كالإدراك الحسي الخارجي والداخلي والعمليات العقلية)، ويكون بعض نشاطه لاشعوريا (لاواعيا) «ويتكفل الأنا دون (الهو) الدفاع عن الشخصية وتوافقها مع البيئة، وحل الصراع بين الكائن الحي، وينظم الوصول إلى الشعور وإلى التعبير الحركي، ويضمن الوظائف التنسيقية للشخصية»"[١٨].

«الأنا» (القوى اللاواعية أو الخفية عند الشخص التي لا يعرفها وتكون دون إرادته) يكون بنية الشخصية الثانية عند فرويد، وتعني المنظم العقلاني في الشخصية و ليس هدفه منع دوافع «الهو» بل يريد مساعدته حتّى يبلغ أمله أي تخفيض التوتر، لأن «الأنا» يعلم الحقيقة فيتخذ القرار متى وكيف لتلبّي غرائز «الهو» بشكلٍ أفضل. و«الأنا» يعمل على أساس الحقيقة إذن يشرف على دافعيات «الهو»[١٩].

إذن يمكن اعتبار «الأنا» محور التوازن لوجود الإنسان دون أدنى شكٍّ؛ فالدور الأكثر أهمية له الدفاع عن كيان الإنسان تجاه الأضرار الكامنة التي بإمكانها أن تدفعه إلى الهلاك عند عدم التوازن بين الاحتياجات النفسانية ومتطلبات البيئة.

و«الأنا» مهما كان الأقوى والأكثر مثقّفاً، كان أحزم عند الدفاع عن نفسه إزاء التهديدات، لكن «الأنا» الضعيف والمعيوب مع الشخصية العاجزة، لن يستطيع الدفاع تجاه هذه الإصابات فتتعرّض دائماً للإصابات المختلفة الناجمة عن عدم التوازن والخلل.

يلاحظ بوضوح مدى الشدّة والضعف في الدفاع عن «الأنا» في الناس ويمكن القيام بتقييمها.

٢-٢-٢ نوع موقف «الأنا» عند عنترة واختيار «نمط الحياة»

يجاهد عنترة في سبيل الحب دوماً بدلاً عن التنازل عنه والاعتراف بالعجز، ويعرض نفسه الحقيقية على عبلة:

يا عَبْلُ، مِثْلُ هَوَاكِ أَو أضْعافِهِ ... عِنْدي، إذا وَقَعَ الإياسُ، رَجَاءُ

إنْ كانَ يُسْعِدُنِي الزَّمانُ،فَإنَّني ... فـي هِمَّتـي، بِصْـروفِهِ، إزْراءُ

(الديوان: ٩)

فهو في طريق الحصول على رضا عبلة بحبّه، والجهود المضنية التي يبذلها، يصبر ويعفّ:

وَحَقِّ هَـوَاكِ لَا دَاوَيْتُ قَلْبـي ... بِغَيْـرِ الصَّـبْرِ يَـا بِنْـتَ الكِـرَامِ

إِلـى أَنْ أَرْتَقـي دَرَجَ المَعَـالي ... بِطَعْنِ الرُّمْحِ أَو ضَرْبِ الحُسَامِ

(السابق: ٧٣)

ويعلن أنّه لا يشارك أيّة امرأةٍ حبّه الصافي ولايحبّ امرأة غير عبلة؛ ولايخرج من سبيل العفّة حتّى لو كانت تتوافر سبل المتعة:

وَلَـئِنْ سَـأَلْتَ بِـذَاكَ عَبْلَـةَ خَبّـرَتْ ... أَنْ لَا أُرِيـدُ مِـنَ النِّسَـاءِ سِوَاهَا

أَغْشَـى فَتَـاةَ الحَـيِّ عِنْـدَ خَلِيلِهَـا ... وَإِذَا غَزَا فِي الجَيْشِ لَا أَغْشَاهَا

وَأَغُضُّ طَرْفِي مَا بَدَتْ لـي جَارَتِي ... حَتّـى يُـوارِي جَـارَتِي مَأْوَاهَـا

(السابق: ٩٣)

فكلّ حياة عنترة الرومانسية والعاطفية مفعمة بالعفّة. ومن خلال قراءة ديوانه يبدو أنّه لايقرض الغزل المبتذل بل يتعفف وفي قليل من الأبيات يصف جمال حبيبته الجسدي [٢٠].

Journal Of Babylon Center For Humanities Studies2018 Volume: 8 Issue : 4
(ISSN): 2227-2895 (Print) (E-ISSN):2313-0059 (Online)

«الأنا الخلاق» في شخصية عنترة العاشقة يبادر بأهدافه وتخطيطاته تحت سيطرة عقله ومنطقه وعلى وفق الأصول الأخلاقية حتّى يصل إلى تشكيل «نمط الحياة» المفيد والمناسب والفريد.

يدل «الأنا الخلاق» على أنّ الناس يخلقون شخصيتهم بمساعدة الخبرة والوراثة. ويعتقد *أدلر* أنّ الإنسان يكون مسؤولاً عن مصيره[٢١].

يسعى كلّ إنسان للتخلّص من التوترات وخفض الضغوط والتغلّب على «الدونية» والحصول على التفوق؛ ويسمّي *أدلر* هذا النموذج الفريد من الخصائص والعادات بـ «نمط الحياة» أو «أسلوب الحياة». ومن وجهة نظر أدلر، كلّ شخصٍ يختار النمط الأكثر تلائما مع الحياة بإرادته.

نمط الحياة

"عبارة استخدمها أدلر ومدرسته للدلالة على طريقة فردية أو أسلوب فردي يتبناه المرء في مرحلة الطفولة المبكرة ثم لا يلبث أن تدخل تعديلات على مجرى حياته اللاحقة وتحدث تغييرات فيه. هذه الطريقة يستعملها الشخص لعلاج مشاعره بالدونية والنقص ولتحقيق التفوق وإحرازه"[٢٢].

هناك علاقة وثيقة ووطيدة بين عيّنتي «نمط الحياط» و«الأنا الخلاق»، وفي الحقيقة نمط الحياة نتيجة للشخصية المبتكرة التي تريد أن تغلب القلق والتوترات. وعلى وفق «نمط الحياة» و«الأنا الخلاق» يمكن الحصول على فرضية رائعة من هذه النظرية، هي أنّ الإنسان يقدر على أن يظهر رد فعل تجاه البيئة وظروف الحياة بقوة ونشاط، فالسعي المتواصل يؤدّي إلى أن يبني الشخص مصيره ومستقبله.

يقوم أدلر بشرح أربعة أنماط للحياة لحلّ مشاكل ذات صلة بالترابط مع الآخرين ومشاكل العمل ومشاكل ذات صلة بالحب والتعاطف؛ هي: الشخصية العدوانية أو الحاكمة، والشخصية والشخصية المستسلمة أو التابعة، والشخصية الانطوائية والشخصية الانبساطية. فالنمط العدواني نمط غير الأصحاء الذين يهتمون باستغلال الآخرين؛ والنمط المستسلم نمط الذين يعتمدون على مساعدة الآخرين، والنمط الانطوائي نمط فاقدي الثقة في التعامل مع المشاكل، والنمط الانبساطي نمط الشخصيات السليمة الذين يقفون في وجه المشاكل بجرأة[٢٣].

٣-٢-٢ التوتر الثاني لـ«الهو» عند عنترة

من العوامل التي تؤدّي إلى إثارة التوتر في «الأنا» عند عنترة وإصابته بـ«الشعور بالدونية» هي مسألة الرقّ وقبح منظره إثر تقسيم المجتمع إلى الطبقات الاجتماعية المختلفة، فيزداد الاختلاف بين هذه الطبقات أكثر فأكثر وتضيع الكرامة الإنسانية. وشأن الأشخاص وكرامتهم ومكانتهم يعتمد على دمهم ومكانتهم الاجتماعية.

الدونية

يقول أدلر إن شعور الإنسان بأنه دون غيره من الناس يحول دونه ودون العمل وبذل المجهود، بحيث يؤدي إلى عجزه عن إثبات ذاته وتحقيق ما يصبو إليه... كالتفوق على سواه، والإتيان بجليل الأعمال أو التحكم في ضعاف البنية ومعاملتهم بقسوة أو الاحتماء خلف ادعاءات كاذبة[٢٤].

في رأي أدلر كلّ إنسان من بداية حياته يكون مخلوقاً ضعيفاً ويائساً يشعر بالضعف والعجز. فالطفل يرى حوله أناسا أقوياء مستقلين؛ لذا يعتمد على الآخرين في جميع شؤون الحياة حتّى تلبية الحاجات الرئيسة، ويحتاج إليهم. فإنّه لايعد «الدونية» علامة للضعف، بل يعده كالقوة التحفيزية لسلوكيات الشخص[٢٥].

يذهب أدلر إلى أنّه لا مفرّ من «الأحاسيس بالدونية»، بل إنّها ضرورية؛ لأنّها تخلق الحافز الرئيس للسعي والنموّ والتقدّم والنجاح. في الحقيقة أنّ «الدونية» إذا لم تتجاوز الحدود، تؤدّي إلى تقدم الإنسان ورقيه.

فالإدراك الطبيعي يعني أنّ الإنسان يصدّق بعض هزيمته وخيبته ويستخدمها كمصدر للسعي والحركة حتّى يؤدّي إلى تحسينه ويصل إلى أهدافه[٢٦].

١-٣-٢-٢ ظروف المجتمع القبائلي في عصر عنترة

على وفق نموذج «الاهتمام الاجتماعي» عند *أدلر*، يولد الإنسان اجتماعياً ويهتمّ باجتماعيته. وينمو داخل المجتمع منذ الولادة وينشأ في ظلّ الدعم والتعاون. هذا الشعور بالاجتماعية يعدّ أساس كلّ سلوكيات الإنسان في الحضارات الإنسانية فيتمّ تحقّقه عن طريق المشاركة في المجتمع. لكن فرويد يقول لا يستطيع الناس أن يحققوا غاياتهم المنشودة أينما يريدون؛ فالعاقل هو الذي يوجّه دافعياته على وفق الأوضاع والبيئة نحو اتجاه واقعي[٢٧].

كان يتشكّل المجتمع القبائلي في العصر الجاهلي من ثلاث طبقات اجتماعية: الصرحاء، والعبيد والموالي. طبقة الصرحاء تتكون من كلّ أبناء القبيلة الرئيسيين تربطهم علاقة الدم. دماؤهم نقية وينتمون إلى النبلاء؛ هم عمود القبيلة وكان يتمّ اختيار الرئيس من بينهم. وطبقة العبيد تتشكّل من العبيد اللذين كانوا يستعبدون من القبائل الأخرى أو البلدان المجاورة[٢٨].

وطبقة الموالي تتشكّل من الحلفاء الذين تمّ إخراجهم عن قبيلتهم ورفضهم بسبب ارتكاب جريمة، وعلى وفق علاقة المجاورة واللجوء كانوا يدخلون قبيلة أخرى كالمولى. والنبلاء المغامرون (من مشاهيرهم يمكن تسمية تأبط شرا، سليك بن سلكة، شنفرى وعمرو بن ورد) وكذلك أنّ العبيد الذين كانوا قد تمّ إطلاق سراحهم بإمكانهم أن يدخلوا في طبقة الموالي[٢٩].

Journal Of Babylon Center For Humanities Studies2018 Volume: 8 Issue : 4
(ISSN): 2227-2895 (Print) (E-ISSN):2313-0059 (Online)

كان العبيد يشكلون طبقة كبيرة في القبيلة في العصر الجاهلي، وبعض هؤلاء كانوا بيضا وبعضهم كانوا زنوجا؛ تم شراء الكثير منهم من الأسواق وبعضهم كانوا يختارون من بين أسرى الحرب.

كان هناك عدد من أبناء الجاريات الزنجيات مشهورين بـ«الحبشي» فجاؤوا من الحبشة أو السودان. وبعض آخر كانوا من أسارى الحرب بين الروم وإيران. الأبناء الذين كانوا من أب عربي وأمّ جارية بيضاء يسمّون بـ«الهجناء» وأبناء الإمات الزنجية يسمّون بـ«أغربة العرب». عنترة بن الشداد كان من هؤلاء البؤساء، وهذا الأمر أدّى إلى عارهم.

إنّ العبيد في هذا العصر كانوا محرومين من أيّ عطاء، لهم أدنى مكانة اجتماعية ويعتبرون من طبقة الفقراء في المجتمع. وعلى الرغم من هذا الحرمان من سادتهم، كان يفرض عليهم القيام بوظائف مهمة صعبة، كان العرب يعدها عارا على أنفسهم؛ وظائف مثل الحدادة، والحجامة، والنجارة، والخياطة، والصباغة، والرعي وكذلك كان يقبح التزوّج من أولاد الجاريات خاصّة إن كانوا زنوجا.

وإذا ما قام عبد بعمل عظيم أو خدمة سيّده خدمة كبيرة كان يمكن إطلاق سراحه.

يصف عنترة رقّه ورعيه عند أبيه في بيت:

أنَـا العَبْـدُ الَّـذي خُبِّرْتَ عَنْـهُ ... رَعَيْتُ جِمَالَ قَوْمي مِنْ فِطَامي

أرُوحُ مِنِ الصَّبَاحِ إلَى مَغيبٍ ... وَأرْقُـدُ بَـيْنَ أطْنَـابِ الخِيَـامِ

(الديوان، ١٨٩٣م: ٧٣)

كان المجتمع الجاهلي غارقاً في مستنقع الاهتمام بزيادة طلب الثروة، المباهاة بالحسب (إصالة الشخص والدم النقي والشريف والنبيل) والنسب (الأمجاد، والفضائل، والشرف، والآباء والأجداد)؛ وكان النبيل يعدّ العامل الرئيس لتشكيل الطبقة القوية في المجتمع. ففي ظلّ هذه السلطة والقوّة للحسب والنسب، تزداد الضغوط الخارجية على الطبقة الضعيفة والفقيرة في المجتمع؛ تقاليد مثل الخلع والطرد والاستثمار والتعذيب.

في مثل هذا المجتمع المأساوي يؤدّى الاستبداد والاستعباد إلى التمرّد والمغامرة والانحراف عند فئةٍ تشتهر بالخلعاء والصعاليك. وعلى وفق نظرية *أدلر* يسعى هؤلاء إلى الحصول على السموّ لتحقيق التفوق والكمال؛ لكن المجتمع المستبد، قد هاجم عقلهم وروحهم كي يتغلب عليهم «الدونية».

كان «الدونية» سبب بروز أنواع السلوك في المجموعتين الأولى والثانية، مهما كانت منحرفة أو مسموحة، ملائمة مع البيئة أو غير ملائمة.

بسبب عدم قضاء المجموعة الأولى على «الدونية» والعجز إزاء تداركها، وفشل جهودها، ينتهي هذا الشعور إلى «عقدة الدونية». ولكن المجموعة الثانية على وفق نظرية *أدلر*، تعتقد بهذا الأصل الذي يدلّ على أنّ الوراثة والبيئة ليست تبريرا كاملا لتشكيل الشخصية، إذن حاولت مع موقف مبتكر أن تسعى في المجتمع بصورةٍ مثمرة إلى الفوز على التوترات وتخفيضها ولـ «شعور التفوق» كعضو من أعضاء المجتمع.

في رأي *أدلر* يجتهد الأشخاص طوال حياتهم للحصول على الكمال. إذن يحاول أيّ شخصٍ أن يقهر الحياة ويبقى على قيد الحياة. في الحقيقة أنّ الحياة هي محاولة دائمة للتلاؤم الأفضل مع البيئة وتحقيق المواهب الكامنة حتّى تعزيز جانبه الاجتماعي[٣٠].

والمصدر الرئيس للمحاولة والتحفيز هو «الدونية» الذي يوفّر «نمط الحياة»؛ وفي وجهة نظر *أدلر* بلوغ كلّ شخص غايته المنشودة يعنى « شعور التفوق »؛ لكن هناك من يصاب بالتحطّم والسقوط إثر ضعفه ونقصه. على سبيل المثال أنّ المعاق الذي يصاب بخلل في يده ورجله يؤثر العزلة، وهناك من يشبهه يبذل قصارى جهوده ليكون عداء متميّزاً أو رافع الأثقال بارعا؛ طفل هزيل عند بلوغه يقبل على كمال الأجسام ويصبح مدرب اللياقة البدنية؛ المراهق الذي يعاني من تأتأة اللسان يصبح خطيباً. قد سجّل التاريخ كثيراً من النماذج الواقعية. ثيودور روزفلت المريض، الرئيس السادس والعشرون للولايات المتحدة بعد بلوغه مرحلة الشباب صار نموذجاً للياقة البدنية.

«الأنا» القوي عند شخصية عنترة العاقلة، يقوم منطقياً بحلّ المسألة للدفاع عن كيانه حتّى يوازن بين طلبه الباطني وظروف المجتمع. يتمّ إقامة هذا التوازن مستمداً عون «آليات الدفاع».

٣-٢-٢-٢ آليات الدفاع أو حيل الدفاع

هي"مجموعة من الحيل والأساليب التي يلجأ إليها الأنا في تعامله مع رغبات الهو ورغبات الأنا الأعلى ومتطلبات الواقع حتى يحقق للشخصية توافقها مثل الكبت والإسقاط والتكوين العكسي والتوحد"[٣١].

«آليات الدفاع» هي ردود فعل عادية وعامة تجاه الألم والمعاناة ويؤدّي إلى تبعيد الأفكار المتضاربة أو المزعجة بصورة واعية أو لاواعية فتؤدّي إلى انخفاض مستوى القلق عند الشخص. هذا الدفاع ردّ على مواقف يهدّد فيها الأمن لنظام «الأنا»[٣٢].

وعلى وفق وجهة نظر أدلر يتمكن الإنسان من استخدام طرق معقولة للحصول على المتطلبات المضطهدة التي لا يمكن الوصول إليها. والعلاج الإيجابي للحرمان الشديد في الحياة يتحقق بمساعدة الأعمال الشعبية من آليات الدفاع يسمّى «التصعيد»[٣٣].

على سبيل المثال المضطهد المحروم يبذل قسما كبيرا من وقته للحصول على التقدّم والنجاح حتّى يفرّ من إجهاداته النفسية، فبإمكانه أن يخفض الهيجان والتوتر النفسي، ويعوض عن حرمانه عن طريق الأنشطة المرغوبة والإيجابية أو يقوم بخلق الأعمال الفنية.

في رؤية *فرويد*، أنواع الأنشطة عند الإنسان، خاصّةً الأنشطة التي لها طبيعة فنّيّة، تعدّ لمحات عن دافعيات «الهو»، التي قد تميل إلى ما ينال رضى الشعبية؛ مثل «التصعيد» الذي يكون نوعا من المصالحة.

يشير أدلر إلى أنّ الذين لديهم الشعور بـ«الاهتمام الاجتماعي»، يتسقون مع المجتمع بشكلٍ أسهل ويلبّون متطلبات الحياة بجرأة متعاونين مع الآخرين؛ ولتحقيق أهدافهم الشخصية والاجتماعية يتصرفون ببراعة، ويتمسكون بالعلاقات الإيجابية التلقائية. إذ كلما ازداد تمسكهم بهذه الصفات ارتفعت درجة اهتمامهم الاجتماعي[٣٤].

يختار عنترة نمط الحياة النشطة والسليمة عن طريق عرض فنونه وعمليات بطوليته وطلب المساعدة من «الأنا» عند قوة المنطق والعقل، حتّى يستطيع تعزيز اهتمامه الاجتماعي عن طريق المشاركة والنشاط في المجتمع.

حياة عنترة لا تتلخص في معاني الحبّ والانحسار فحسب، بل إنّه علاوة على تبيين خصائصه البارزة، يصف مغامراته في المعارك المختلفة والأدوات الحربية وحصان الحرب الخاص به. العلامة البارزة لشعره كونه بطولياً؛ إذ دمج الحب بالحرب. في جزء من قصيدته يعتز بالبطولة وحصانه قائلا:

أَنَا البَطَلُ الَّذي خُبِّرْتِ عَنْهُ ... وَذِكري شَاعَ في كُلِّ الآفَاقِ
إِذَا افْتَخَرَ الجَبَانُ بِبَذْلِ مَالٍ ... فَفَخْري بِالمضَمَّرَةِ العِتَاقِ

(الديوان: ٥٧)

حبّ عنترة الحرب قد بلغ درجة يدافع فيها عن نسبه الأمومي بالسيف؛ إذ يعد ضربة السيف كحسبه ونسبه وشرفه:

إِنِّي امرُؤٌ مِنْ خَيْرِ عَبسٍ مَنْصَبَا ... شَطري وَأَحْمي سَائِري بِالمُنْصَلِ

(السابق: ٦٧)

يحاول عنترة أن ينال قبولاً عن طريق القيام بالسلوك الشعبي مثل الشعر والشجاعة. إنّه يستخدم قوّته للقيام بالأعمال الشعبية التي تهدف إلى الحفاظ على حياته، هذا هو أصل «غريزة الحياة» أو «الإيروس» مع مساعدة آلية دفاع «التصعيد».

«الأنا» عنده يلح على التخلص من أعباء الحياة فيحثّه على عرض البطولية.

وفي رأي عنترة أنّ الهدف من وجوده هو الحرب والبطولة فيقبل على ساحات الحرب متهوّراً:

خُلِقْتُ لِلْحَرْبِ أَحْمِيهَا إِذا بَرَدَت ... وَأَصْطَلِي بِلَظَاها حَيثُ احْتَرَقَا
أَكُرُّ عَلَى الفَوَارِسِ يَومَ حَرْبٍ ... وَلَا أَخْشَى المُهَنّدَةَ الرِّقَاقَا

(السابق: ٥٧)

وفي أبيات نراه يفضّل العبد الذي يخوض غمار الحرب وحيدا إزاء الآلاف من المقاتلين الأحرار:

أنَا العَبْدُ الذَّي خُبِّرْتِ عَنْهُ ... يُلَاقِي فِي الكَرِيهَةِ أَلْفَ حُرٍّ
خُلِقْتُ مِنَ الحَدِيدِ أَشَدُّ قَلْباً ... فَكَيْفَ أَخَافُ مِنْ بيضٍ وَسُمْرٍ

(السابق: ٤٤)

في جزء آخر يفتخر بشجاعته ويعلن حبيبته أنّها لن تشاهد منه سوى الشجاعة والبطولية:

فَطَعَنْتُهُ بِالرُّمْحِ ثُمَّ عَلَوتُه ... بِمُهَنَّدٍ صَافِي الحَدِيدَةِ مِخْدَمِ
عَهْدِي بِهِ شَدَّ النَّهَارَ كَأَنَّمَا ... خُضِبَ اللَّبَانُ وَرَأسُهُ بِالعِظْلَمِ
يَا عَبْلُ لَو أَبْصَرْتِنِي لَرَأَيْتَنِي ... فِي الحَرْبِ أَقْدِمُ كَالهِزَبْرِ الضَّيْغَمِ

(الديوان: ٨٠)

ويدعو حبيبته لمشاهدة شجاعته والبحث عنها في ساحة القتال:

فَلَئِنْ صَرَمْتِ الحَبلَ يا ابْنَةَ مَالِكٍ ... وَسَمِعْتِ فِيَّ مَقَالَةَ العُذَّالِ
فَسَلِي لِكَيْمَا تُخْبِرَنِي لِفَعَائِلِي ... عِنْدَ الوَغَى وَمَوَاقِفِ الأَهْوَالِ

(السابق: ٦٥)

وهو واثق بأن إطلاق سراحه يتم قريبا مبشرا به عبلة:

يَـا عَبْـلُ لَا يَحْزُنْـكِ بُعْدي وَابْشِـري بِسَـلَامَتي وَاسْتَبْشِـري بِفَكَـاكي

(السابق: ٥٨)

مما سبق آنفا يعد الولد الذي يولد من الجارية عبدا في التقاليد الجاهلية فلا يطلق سراحه إن لم يظهر أيّ إصالة وشجاعة من جانبه؛ لذا كان عنترة يعد شخصيته أفضل من أوصاف العبيد، فمن الطفولة قام بممارسة الفروسية والبطولية وبعد أن أعرب عن شجاعته تم إطلاق سراحه. فهو قد مزق سلسلة الرقّ عن نفسه وقبيلته وجميع الشعب العربي. «المناهضة للعبودية ومكافحة الرقّ والفصل العنصري تعدّ الهدف الرئيس لثورته. هذا الأمر مفهوم سياسي يملأ الضمير البشري من الصرخة الأولى ضدّ عدم المساواة. هذه الصرخة تقول: في الحقيقة جميع البشر هم أعضاء جسم واحد، ولا يمكن تفوّق بعضهم على البعض بسبب الجذر أو العنصر أو لون البشرة»[٣٥].

إذن على وفق قاعدة «التصعيد»، يحاول «الأنا» عند عنترة احتمال المشاكل وترتفع قدراته عند الهزائم والإخفاقات والإصابات. ليس هناك ما يحول دونه والنجاح؛ فهو يبني من الضغوط جسراً للنجاح حتّى يصل إلى الشرف والمجد. شخصية عنترة السليمة والكاملة تقبل الأحاسيس الإيجابية مثل الجرأة والشفقة، وبواسطة ابتكاره يتكيف مع الحياة تكيفا مثمرا.

«الأنا» عند الشاعر يقوم بالدفاع عن نفسه ويتمسّك بآلية «العقلنة» حتّى تنخفض إجهاداته النفسية وإرهاقاتها عند الانزعاج من أنواع الإذلال والتوبيخ من قِبل الآخرين، فيشعر بقليل من القلق والاضطراب.

إذ إن"«آلية العقلنة» وسيلة من حيل الدفاع عن الأنا، يتمكن الفرد بواسطتها من تحقيق قدر معين من الابتعاد عن الأذى العاطفي، وذلك بقطع أو تشويه الشحنة العاطفية التي تصاحب الأوضاع والمواقف المؤذية عادة"[٣٦].

في آلية «العقلنة» تغفل الجوانب العاطفية مع التركيز على الأفكار والكمالات والحقائق. يسحب الشخص في هذا الموقف الذهن إلى الهامش عن طريق التعبير عن الأدلة المنطقية، حتّى يتهرب لفترة قصيرة عن لقاء المشكل[٣٧].

يلام عنترة طوال حياته، بسبب بشرته السوداء إذن عليه أن يتناسى هذا الموقف ويقوم بما ينال الإعجاب. فهو يعبر عن ميزاته الأخلاقية الحميدة، متجاهلا كونه زنجياً ومقدما نفسه حسن السمعة:

تُعَيِّرُنـي العِدَى بِسَوَادِ جِلْـدي وَبـيضُ خَصَـائِلي تُمْحـو السَّوادَا

(الديوان: ٢٨)

لعنترة، شخصية مثالية في العصر الجاهلي، رؤيتة إلى الحياة واقعية وبعيدة عن الحقد والتعصب العنصري ولا يعد القيود حاجزاً أمام الازدهار والتقدم، فيرفض رأي من يعد النسب والحسب سبب الحصول على المكانة الاجتماعية، وفي رأيه الشجاعة والبطولة يؤديان إلى المجد والشرف:

إِنْ كُنْتُ فـي عَدَدِ العَبيدِفَهِمَّتي فَـوقَ الثُّرَيَّـا وَالسَّمَاكِ الأَعْزَلِ
أَو أَنْكَرَتْ فُرْسانُ عَبْسٍ نِسْبَتي فَسِنانُ رُمْحـي وَالحِسَامُ يُقِرُّلـي
وَبِـذابِلي ومُهَنَّـدي نِلْـتُ العُلَـى لَا بِالقَرَابَـةِ وَالعَديـدِ الأَجْـزَلِ

(السابق: ٧٠)

ونراه في قصيدة أخرى يلوم الذين عاتبوه واثقا بنفسه:

يَعيبونَ لَـوني بِالسَّوَادِ وَإِنَّمَـا فِعَالُهُمْ بِالخُبْثِ أَسْوَدُ مِنْ جِلْدي

(السابق: ٣١)

اللوم والاضطهاد لايتركان أثرا في عنترة؛ يجتهد هو في إنشاء التوازن والحفاظ عليه في سلوكه تجاه البيئة وهكذا يحصل على تلاؤم مفيد وتكيّف مثمر مع التغييرات البيئية.

يقوم بوصف خصاله الحسنة في عدة أبيات:

إِنّـي امرُؤٌ مِنّـي السَّمَاحَةُ وَالنَّـدى وَالبَـأسُ أَخـلَاقٌ أَصَـبْتُ لُبَابَهـا
وَأَنَـا الرَّبيـعُ لِمَـن يَحُـلُّ بِسَـاحَتي أَسَـدٌ إِذَا مَـاالحَرْبُ أَبْـدَت نَابَهـا

(التبريزى، ١٩٩٢م: ٢٤)

وعندما يطعن لكونه زنجياً، يقوم بعرض بطولاته وأعماله الحسنة وصفاته البارزة:

وَصَـوتُ حُسَـامي مُطرِبـي وَبَريقُـهُ إِذا اسْوَدَّ وَجْهُ الأُفْقِ بِالنَّقْعِ مِقْبَاسي
وَإِنْ دَمْدَمَت أُسْدُ الثَّرى وَتَلاحَمَت أُفَرِّقُهَا وَالطَّعْنُ يُسْبِقُ أَنْفَاسي
وَمَـن قَـالَ إِنّـي أَسْـوَدٌ لِيَعيبَنـي أُريهِ بِفِعْلي أَنَّهُ أَكْذَبُ النَّاسِ

(الديوان: ٤٥)

الأنا الأعلى ودوره الأخلاقي

"الأنا الأعلى جانب من الأنا أصابه التعديل نتيجة اعتناق الشخص وامتصاصه للأوامر والنواهي والمثل العليا والمعايير...يطالب الشخصية بالتزام المثل العليا والأخلاقيات في أفعالها وسلوكياتها وتصرفاتها...إنه ممثل جميع القيود الخلقية، والمتكلم بلسان النزعة إلى الكمال... وإذا لم يكتمل نمو الأنا الأعلى اكتمالا صحيحا، فإنه يحتفظ بتركيب مشوه يتصف بمنطق فِجّ، فنرى الأنا الأعلى يعامل الأب القاسي ابنه"[٣٨].

الأنا الأعلى هو الجزء الأخير من شخصية الإنسان الذي ينبثق من الهو. في الحقيقة يعدّ الممثّل الباطني للقيم الثقافية والاجتماعية والأخلاقية. هدفه ليس التعويق في متطلبات الهو الممتعة، يعني نفس العمل الذي يقوم به «الأنا»، بل هدفه الحد منها كاملاً.

في حالة فرض السلطة وطموح «الأنا الأعلى» إلى أبعد حد حتّى أدّت هذه الحالة إلى خبط «الأنا» من قِبله وسيادته عليه وسيطر كاملاً على شخصية الإنسان، ففي هذا الحين يمكن افتراض أيّ أداءٍ. إذن على الرغم من التوتر والنزاع الدائم بين «الهو» و«الأنا الأعلى»، إن لم يقم «الأنا» بحكم التحسين وإثارة التوازن، يتمّ مشاهدة النتيجة المدمرة لتمرّد الغرائز العاصية في الأبعاد المختلفة من شخصية الإنسان. فالعناد مع المعايير الأخلاقية والقيم الاجتماعية يعدّ المعلول الرئيس لهذا عدم التوازن وبالعكس.

بشكلٍ عام «الأنا الأعلى» يكون راغباً في تعديل المعايير الأخلاقية مع المعايير المنطقية الخاصّة بـ «الأنا» ويفضّل الكمالية على الواقعية[٣٩].

مع ذلك، عند قيامنا بدراسة حياة عنترة أدركنا أنّ هدف الأنا الأعلى المثالي عنده هو الحصول على العظمة والشرف ولا يحرص على محاولة في الحياة إلّا الحصول على العظمة:

لِغَيْرِ العُلَى مِنّي القِلَى وَالتَجَنُّبُ وَلَولَا العُلَى مَا كُنْتُ فِي العيشِ أَرْغبُ

(السابق: ١٣)

عنترة العاشق، العبد الراعي الزنجي والمقاتل في ساحات الحرب، يحرّر نفسه في عالم المتطلبات المثالية بغض النظر عن التركيز على المشاكل والصعوبات، فيأمل الحصول على المجد والعظمة:

دَعْنِي أَجِدُّ إِلَى العُلْياءِ فِي الطَّلَبِ وَأَبْلُغُ الغَايَةَ القُصْوَى مِنَ الرُّتَبِ

(الديوان: ١٦)

إذن نوع الشخصية أو نمط الحياة عند عنترة أشبه بالأشخاص الكاملين والمستقلين بالنسبة إلى الأشخاص الذين يعتبرون أنفسهم مدانين بالصراع مع ظروف المجتمع والمصير. هو يكافح المشاكل في إطار متطوّر تماما. إرادة عنترة وهمّته تخلق شخصيته وتحاول دوماً أن تبلغ الوعي بالذات أو المثالية الذاتية التي تشمل جميع المفاهيم التي يقيم وزناً لها. فبالتأكيد أنّ الوعي بالذات عند عنترة هو تدفّق حرّ وواع ومستمر جدّاً.الأنا الأعلى المثالي عند عنترة لايرضى إلّا عند الحصول على المطامح والأمجاد والعظمة ولا ينقاد للعيوب والنقائص ويعتبر إرادته ممتداً بين السماوات والأرض:

أَنَـا العَبْدُ الَّـذي سَـعدي وَجَـدِي يَفوقُ عَلَى السُّهَا فِي الارتِفَاعِ
سَمَوْتُ إِلَـى عَنَـانِ المَجْـدِ حَتَّـى عَلَوْتُ وَلَمْ أَجُدْ فِي الجَوِّ سَاعِي

(السابق: ٥١)

نتيجة لهذا يجتاز عنترة المشاكل مع اختيار النمط النشيط والسليم للحياة ومع المزيد من المحاولة استطاع أن يستولي على «الدونية» وتحقيق هدفه الرئيس أي المجد والعظمة.

نتائج البحث

يستنتج مما سبق:

– أن أدلر خلافاً لفرويد لم يكن يعتقد أن الإنسان مكبل بقيود التضارب والقلق الناجمة عن القوى البيولوجية والغريزية؛ في نظره للظروف الاجتماعية، والسياسية والاقتصادية دور فاعل في شخصية الإنسان؛ لكن لا سلطان لها عليها كاملاً؛ إذ للإنسان حرية الإرادة. يسمّي أدلر القدرة على الخيار بـ«الأنا المثالي الخلاق»؛ في نظره لجميع الناس «دافع تصاعدي كبير» بإمكانه أن يلقي الإنسان في التهلكة أو ينهض به.

– من الخلافات الأساسية الأخرى بين فرويد وأدلر هي أنّ الثاني يرى للموقف الغائي والأهداف دورا فاعلا في حياة الإنسان؛ فالحياة في رأيه ليست «كان» بل هي «صيرورة» لذا يرفض ثنائية «الواعي واللاواعي» خلافاً للأول من أتباع مذهب الحتمية المتطرفين الذي يذهب إلى أن «الماضي» و«الغرائز» العامل الوحيد في سلوك الإنسان وهو أسير بين يديهما منكرا دور الإرادة والخيار .

– وبالنسبة إلى عنترة يمكن القول إن التوترات التي أدّت إلى إثارة القلق في عالمه الباطني قد أثّرت على حياته؛ فالشعور بالدونية لكونه عبداً زنجياً واضطراره إلى العمل الجبري وتحمّل الازدراء من قِبل الآخرين نشَط «الأنا» المعقول والمنطقي و«الأنا الأعلى» فيه حيث يختار نمط السلوك الملائم للبيئة وتغييراتها، ويبذل جهودا جبارة لمعالجة وطأة الضغط والإجهاد في سبيل الحفاظ على العلاقات المنسجمة والمتناغمة حيال الجماعة وإزاء البيئة الاجتماعية.

هوامش البحث

١.المختارى، زين الدين، المدخل إلى نظرية النقد النفسي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٨٨، ص ٥.

٢.الواد، حسين، قراءات في مناهج الدراسات، سراس للنشر، تونس، ١٩٨٥، صص ٥ و ٦.

٣.أحمديان، حميد، ، مناهج النقد الأدبي، انتشارات سمت، طهران، ١٣٩٣ش، ص ١٢٨.

٤.ليبين، فاليري، التحليل النفسي والفرويدية، ترجمة نزار عيون السود، دارالوثيقة، دمشق، لاتا، صص ١١٣ إلى ١١٥.

٥.شاملو، سعيد، مكتب‌ها ونظريه‌ها در روان‌شناسى شخصيت(مدارس ونظريات في علم النفس للشخصية)، ط ١٠، انتشارات رشد، تهران، ١٣٩٠ش، ص ١٧.

٦.المختاري: ص٦.

٧.سيد قطب، النقد الادبي (أصوله ومناهجه)، انتشارات ذوي القربى، قم: إيران، ١٤٣٣ق ص٢٣٥.

٨.الزيات، أحمدحسن، تاريخ الأدب العربي، دانشگاه آزاد اسلامى(الجامعة الإسلامية الحرة)، شيراز: إيران، ١٣٧٣ش، ص ٦٧.

٩.البستاني، بطرس، أدباء العرب في الجاهلية والإسلام، ط٦، مكتبه صادر، بيروت،١٩٥٣م، صص١٩٩–٢٠١.

١٠.الفاخوري، حنا، الجامع في تاريخ الأدب العرب (الأدب القديم)، منشورات ذوي القربى، قم: إيران، ١٤٢٣ق، ص ٢٠٥.

١١.رزوق، أسعد، موسوعة علم النفس، ط٣، مراجعة: عبدالله عبدالدايم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٧م، ص ٢٨٥.

١٢.عبدالقادر طه، فرج، معجم علم النفس والتحليل النفسي، دارالنهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لا. تا، ص ٤٧٧.
١٣. شاملو، ١٣٩٠ش، صص ٣٥- ٣٦.
١٤. عبدالقادر طه، لا. تا، ص ٣٣٩.
15.Freud, s. (1925). An Autobiographical Study. In standard- edition. London, Hogarth press : p38.
16. Schultz. Duane P. & Schultz. Sydney Ellen. Theories of Personality. www.WADSWORTH.com: p52.
١٧. شاملو، ١٣٩٠ش، ص ٤٠.
١٨. عبدالقادر طه، لا. تا، ص ٦٣.
19.Schultz. Duane P. & Schultz: pp 55, 56
٢٠.التبريزي، الخطيب، شرح ديوان عنترة، المقدمة والهوامش والفهرسة: مجيد مطراد، دارالكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٢م، ص ١١.
21.Adler , A. (1978).Cooperation Between The Sexes: Writing on Women, Love & Marriage, Sexuality & Its Disorders. New York, Plenum press: pp 355, 356.
٢٢. رزوق، ١٩٨٧م، ص ١٨٠.
٢٣.رايكمن، ريچارد، نظريه هاى شخصيت(Personality Theories)، ترجمه مهرداد فيروز بخت، نشر ارسباران، طهران، ١٣٨٧، صص ١٣٤- ١٣٥.
٢٤.رزوق، ١٩٨٧م، ص ١٥٠.
٢٥.أحمدوند، محمدعلى، بهداشت رواني(الصحة النفسية)، انتشارات(دار النشر) پيام نور، طهران، ١٣٨٦ش، ص ٣٢.
26.Schultz. Duane P. & Schultz: pp 128.
٢٧.رايكمن، ١٣٨٧، ١١٩.
٢٨.الفاخوري، ١٤٢٣ق، صص٩١- ٩٢.
٢٩.ضيف، شوقى، تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي، دارالمعارف، القاهرة، ١٩٦٠م، ص ٦٧.
٣٠.كريمي، يوسف، روان‌شناسي شخصيت(علم النفس للشخصية)، انتشارات پيام نور، طهران،١٣٨٤ش، ص ٩٣.
٣١.عبدالقادر طه، لا. تا، ص ١٨٣.
٣٢.مانفردا، مارگاريت، كرامپيتز، سيدنى د، روان‌پرستاري(تمريض نفسي)، نشر مركز دانشگاهي(المركز الجامعي)، طهران،١٣٦٩ش، ص ١٣٤.
٣٣.رايكمن،١٣٨٧، ص ٤٤.
34.Schultz. Duane P. & Schultz: p 60.
٣٥.شكري، غالي، ادب مقاومت، ترجمة محمد حسن روحانى، نشر نو، طهران، ١٣٦٦ش، ص ٧.

٣٦.رزوق، ١٩٨٧م، ص ٤٦.

٣٧.رايكمن، ١٣٨٧ش، ص ٤٥.

٣٨.عبدالقادر طه، لا. تا، ص ٦٣.

٣٩.شاملو، ١٣٩٠ش، ص ٣٤.

المصادر والمراجع

١. أحمدونـد، محمـدعلى، بهداشـت رواني(الصـحة النفسـية)، انتشارات(دارالنشـر) پيـام نـور، طهـران: إيـران، ١٣٨٦ش.

٢. أحمديان، حميد، مناهج النقد الأدبي، انتشارات(دارالنشر) سمت، طهران، ١٣٩٣ش.

٣. البستاني، بطرس، أدباء العرب في الجاهلية والإسلام، ط٦، مكتبه صادر، بيروت، ١٩٥٣م.

٤. الخطيب التبريزي، شرح ديوان عنترة، المقدمة والهوامش والفهرسة: مجيد مطراد، دارالكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٢م.

٥. خزلي، مسلم، گودرزي لمراسكي، حسن، «نقد روانشناسي أشعار عمرو بن كلثوم وعنترة بن شداد»(النقد النفسي لأشعار عمرو بن كلثوم وعنترة بن شداد)، مجلة لسان مبين، العدد ١٧، صص ٦٢-٨٩، ١٣٩٣ش.

٦. رايكمن، ريچارد،نظريه هاى شخصيت(Personality Theories)، ترجمه مهرداد فيروزبخت، نشر أرسباران، طهران، ١٣٨٧.

٧. رزوق، أسعد، موسوعة علم النفس، ط٣، مراجعة: عبدالله عبدالدايم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٧م.

٨. الزيات، أحمدحسن، تاريخ الأدب العربي، دانشگاه آزاد اسلامى(الجامعة الإسلامية الحرة)، شيراز، إيران، ١٣٧٣ش.

٩. سيد قطب، النقد الأدبي (أصوله ومناهجه)، انتشارات ذوي القربى، قم: إيران، ١٤٣٣ق.

١٠. شاملو، سعيد، مكتبها ونظريهها در روانشناسى شخصيت(مدارس ونظريات في علم النفس للشخصية)، ط ١٠، انتشارات(دارالنشر) رشد، طهران، ١٣٩٠ش.

١١. ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي، دارالمعارف، القاهرة، ١٩٦٠م.

١٢. عبدالقادر طه، فرج، معجم علم النفس والتحليل النفسي، دارالنهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لا. تا.

١٣. غالي شكري، غالي، ادب مقاومت(أدب المقاومة)، ط١، ترجمه محمد حسين روحاني، نشر نو، طهران، ١٣٦٦ش.

١٤. عنترة بن شداد، ديوان عنترة، مطبعة الآداب، بيروت، ١٨٩٣م.

١٥. الفاخوري، حنا، الجامع في تاريخ الأدب العربي (الأدب القديم)، منشورات ذوي القربى، قم: إيران، ١٤٢٣ق.

١٦. كريمي، يوسف، روان‌شناسي شخصيت(علم النفس للشخصية)، انتشارات(دارالنشر) پيام نور، طهران، ١٣٨٤ش.

١٧. ليبين، فاليري، التحليل النفسي والفرويدية، ترجمه نزار عيون السود، دارالوثيقة، دمشق، لا. تا.

١٨. مانفردا، مارگاريت، د كرامپيتز، سيدنى، روان‌پرستاري(تمريض نفسي)، ترجمه طلعت شهرياري وهمكاران(الآخرون)، نشر مركز دانشگاهي(نشر المركز الجامعي)، طهران، ١٣٦٩ش.

١٩. المختاري، زين الدين، المدخل إلى نظرية النقد النفسي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٨٨م.

٢٠. الواد، حسين، قراءات في مناهج الدراسات، سراس للنشر، تونس، ١٩٨٥م.

المراجع الأجنبية

Adler , A. (1978).Cooperation Between The Sexes: Writing on Women, Love & Marriage, Sexuality & Its Disorders. New York, Plenum press.

Freud, s. (1925). An Autobiographical Study. In standard- edition. London, Hogarth press. .

Schultz. Duane P. & Schultz. Sydney Ellen. Theories of Personality. www.WADSWORTH.com

Sources and references:

1. Ahmadvand, Mohammad Ali, Mental Health, Payame Noor, Tehran, 1380.

2. Ahmadian, Hamid, Literary Criticism Methods,Samt for Publishing,Tehran, 1393.

3. Al-Bostani, Petros, Arab Men of Letters in the Pre-Islamic and Islamic period, Maktabat Sader for Publishing, Beirut, 1953.

4. Al-Khatib Al-tabrizi, An explenation of Antara's Divan,I ntroduction, Annotation and Indexing: Majid Metrad, Dar Al-Ketab Alarabi, Beirut, 1992.

5. Khezli, Moslem, Goudarzi, Hasan, A Psychological Criticism of Amr Ibn Alkolthoom's Poems, Lesane Mobin Journal, Number 17, p. 62-89.

6. Raykman, Richard, Personality Theories, Translated by: Mehrdad Firooz Bakht, Arasbaran for Publishing, Tehran, 1378.

7. Razough, Asaad, Psychological Cyclopedia, Reviewed by: Abd-Allah Abd Aldayem, Arab Institute for Studies and Publishing, Beirut,1987.

8. Al-Zayat, Ahmad Hasan, The History of Arabic Literature, Islamic Azad University for Publishing, Shiraz: Iran, 1373.

9. Seyyed Ghotb, Literary Criticism(Principles and Methods), Zawi Al-Ghorba for Publishing,Qom: Iran, 1433.

10. Shamloo, Saeed, The Schools and Theories in Personality Psychology, Roshd for Publishing, Tehran, 1390.

11. Zeif, Shoghi, The History of Arabic Literature in the Pre-Islamic Period, Dar Al-Maaref for Publishing, Al-Qaherah, 1960.

12. Abd Al-Ghader Taha, Faraj, Psychology Dictionary and Psychological Analysis, Dar Al-Nahzah Al-Arabiya for Publishing, Beirut.

13. Ghali Shokri, Ghali, Resistance Literature,1Edition,Translated by: Mohammed Hosein Rohani,Nashre No for Publishing, Tehran, 1366.

14. Antara Ibn Al- Shaddad, Antara's Divan, Al-Adab for Publishing, Beirut, 1893.

15. Alfakhoori, Hanna, Aljamee in the History of Arabic Literature(Old Literature), Zawi Al-Ghorba for Publishing, Qom: Iran, 1423.

16. Karimi,Yusuf, Personality Psychology, Payame Noor for Publishing, Tehran, 1384.

17. Libin, Faliri, Psychological Analysis and Al Freudiya, Translated by: Nazar oyoon Al-Sood, Dar Al- Wathigha for Publishing, Damascus.

18. Margaret, Manferda, Kerampz, Sidni, Psychiatric Nursing, Translated by: Talat Shahriari and Others, Markaze Daneshgahi(Academic Center) for Publishing, Tehran, 1369.

19. Almokhtari, Zein Al-Din, An Introduction to the Theory of Psychological Criticism,Ettehad Al-Kottab Al-Arab(Arab Writers Union) for Publishing,Damascus, 1988.

20. Alwad, Hosein, Readings in the Research Methods,Saras for Publishing, Tunisia, 1985.